

ان كوانت في قلب صنع السياسة، بل هو عنصر في تنفيذها. لذلك، نرى العملية السياسية لادارة كارتر، بمجملها، من خلال نافذة مساره الشخصي. منه نعرف (الفصل الثالث)، مثلاً، ان الدول العربية الرئيسة كانت مستعدة، في مطلع العام ١٩٧٧، لاجراء مباحثات دبلوماسية جادة مع اسرائيل (ص ٣٧ و ٤٢). ومنه نعرف، أيضاً، ان الذهاب الى جنيف، في ايلول (سبتمبر) من العام عينه، لم يكن يعني، بالضرورة، مشاركة الاتحاد السوفياتي كطرف معني، على الأقل في المرحلة التمهيدية من المباحثات (ص ٤٠). ومنه نعرف، أخيراً، المناقشات التي اجراها الرئيس كارتر مع كل من السادات والملك حسين والملك فهد والرئيس حافظ الاسد، في ما يخص الثلاثية الجوهرية للسلام (الحدود، والامن، والقضية الفلسطينية)، وقبول السادات، مبدئياً، بفكرة ان السلام يقضي باقامة علاقات طبيعية مع اسرائيل، بما في ذلك تبادل السفراء والاعتراف الكامل بالسيادة (ص ٤٩ - ٥٨).

في هذا السياق، يتحول كوانت من كرونولوجي الى مرغّب يدعنا نطالب بالمزيد، فيحدثنا عن وصول بيغن الى رئاسة الوزارة في اسرائيل (الفصل الرابع)، وعن لقائه الاول مع كارتر في واشنطن «الذي كان أكثر ودية بكثير من لقاء سلفه؛ وهو أمر مفاجئ نوعاً ما». ويذكرنا بالمبادئ الاميركية الخمسة التي كانت بمثابة أساس لمحادثات الرئيس الأميركي مع بيغن، بينها منح الفلسطينيين حق تقرير المصير في اختيار وضعيتهم المستقبلية. وبينها، أيضاً، الحدود والانسحاب الاسرائيلي على مراحل. غير ان بيغن رفض، كلية، المبدأ المتعلق بالفلسطينيين؛ وفي ما يتعلق بقضية الانسحاب، أصرّ على ان لا تذكر الولايات المتحدة، في السر أو في العلن، انها تحبذ الانسحاب الى حدود الـ ١٩٦٧؛ وقد تمّ له ذلك (ص ٩٢).

يحاول الكاتب، في الفصل الخامس، وينجح الى حد ما، فصل مصالح واشنطن عن أهداف تل - ابيب، مركزاً، باستمرار، على ما يراه المحورية المتزايدة للقضية الفلسطينية في السياسة الخارجية الاميركية، خلال شهري آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩٧٧. ويذكر، في هذا الصدد، ان سايروس فانس، كان يحمل، خلال جولته على المنطقة في مطلع آب (اغسطس)، مجموعة منقحة من المبادئ الخمسة لمناقشتها مع عدد من القادة العرب ومع الجانب الاسرائيلي أيضاً؛ بينها فكرة تشكيل وفد عربي مشترك يضم فلسطينيين، استعداداً للذهاب الى جنيف. وفي المقابل، اشاع فانس الاعتقاد بأن منظمة التحرير الفلسطينية كانت على شفا تغيير موقفها من القرار الرقم ٢٤٢. ولكي يضيف المزيد من الدفع الى العملية السياسية، أوصى بأن يكرر الرئيس كارتر، علناً، ان واشنطن سوف تكون راغبة في الدخول بمباحثات مع منظمة التحرير الفلسطينية، اذا ما قبلت الأخيرة بذلك القرار (ص ١٠٦).

هكذا، كان شهر ايلول (سبتمبر) شهراً حاسماً في نشوء استراتيجية كارتر الشرق أوسطية، تركزت الجهود الدبلوماسية الاميركية خلاله على أربعة محاور متوازنة ومتعارضة في آن: فهناك محاولة التوصل الى بنود أولية لمعاهدة سلام بين الاطراف المعنية؛ ومحاولة ايجاد حل لمسألة كيفية تمثيل الفلسطينيين في جنيف؛ وامكانية تطور قدر من التفاهم بين الاطراف المتفاوضة في ما يخص اجراء مباحثات جنيف؛ وهناك، أخيراً، مفاتحة الاتحاد السوفياتي بهذا الشأن (ص ٩٨ - ٩٩). في هذا السياق، يصاب القارئ العربي بقدر لا بأس به من الاحباط عند تناول كوانت للموقف السوفياتي، حين يعلم ان موسكو سارعت الى تقديم مسودة مذكرة كانت مفيداتها مستقاة من القرار ٢٤٢، من دون ان تتضمن الدعوة الى قيام دولة فلسطينية، او الى مشاركة م.ت.ف. كطرف معني، في المباحثات (ص ١١٩).

كنا نتمنى لو ان المؤلف منح الفصل السادس اهتماماً أوفر. فالفصل يحتوي على عدد من اشارات متعجلة الى قضايا بالغة الأهمية. ويحتوي على عدد مماثل من الاحداث وردت في شكل مسلمات، بعضها يحتاج، بالتأكيد، الى تحقيق أكثر دقة. ولا يكفي ان نقرر، مثلاً، ان زهاب السادات الى القدس كان رداً على البيان السوفياتي - الاميركي المشترك (ص ١٤٩)، من دون ان نوثق لذلك. والصحيح، ان استعداد السادات لتخطي الصعاب الاجرائية، التي تعيق عقد مؤتمر جنيف، كان، في جانب منه، يدل على نيّته المضمرة في تحرير نفسه من قيود ورقة العمل الاسرائيلية - الاميركية، التي يعقد المؤتمر على أساسها. كان يحاول جهده لتفاديها، فدعا